الشيخ سلطان بن محمد القاسمي

شعر: الدكتور حجر أحمد البنعلي

لي في القَواسِمِ إخوانٌ وخِلانُ إن فارقوني أهاجَ القلبَ أشجانُ
لم أنسَ يا شيخُ، إذ كنَّا مَعًا زمنًا والكُلُّ في نُزهةٍ يَشدو وجَذلانُ
فإن وصَفتُ بذاكَ اليومِ مَجلِسَنا ستعتَريني صَباباتٌ وأحزانُ
في الصالِحيَّةِ تحتَ الغافِ جَلسَتُنا فما طوى ذِكرَ ذاكَ اليومِ نِسيانُ
سِتُّونَ عامًا وخَمسٌ بعدَها انصرَمَت هانَحنُ عُشنا، وبعضُ الصحبِ قد بانوا[1]
كنَّا شَبابًا وصَيفُ الدارِ يُؤنِسُنا في صِيفِ جلفارَ للطُلابِ سُلوانُ
فالسَّيْحُ قَفرٌ بِلا عُشْبٍ يزيّنُه وإن عَطِشنا فبِئرُ السَّيحِ مَلآنُ
صوَّرتُ جَلستَنا ظُهرًا بـ(كيمرتي) والكُلُّ مُبتسمٌ يرنو وفَرحانُ
والعنزُ بانت ورا الخِلانِ في دَعَةٍ ما راعَها منهمُ شرٌّ وعُدوانُ
فللصِّبا ذكرياتٌ عِشتُ أذكُرُها في (ساحلِ اعمانَ) أصحابٌ وأخدانُ[2]

خاطبتُ (أحمَدَ) في شِعري لتَسليةٍ والشِّعرُ يُغري، وللأشعارِ شَيطانُ[3]
داعبتُكم في لِباسٍ كنتَ تلبِسُهُ كما ارتدى مثلَكم رَبعٌ وإخوانُ

بـ(البانطلونِ) أتيتُم كُلُّكم عَجبًا فقلتُ – أمزحُ–: هل في الثوبِ نُقصانُ؟

ما كنتُ أقدَحُ أو أهجُو جُموعَكمُ واللهُ يشهَدُ ما في القلبِ أضغانُ

يابن القواسمِ رِفقًا إنني حَجرٌ آباؤُكم وأبي للعدِل أعوانُ[٤]

قد كان شيخَهمُ أمَّ الصلاةَ بهم شيخٌ تقيٌّ لهُ عِلمٌ وإيمانُ

دَعني أُحييكَ فيما كنتُ اسمَعُهُ عن عَدلِكم، وكثيرُ القَولِ بُرهانُ

أعجوبةٌ دارُكم، واللهُ وفَّقَها تُراثُها مُشرِقٌ والعِلمُ عُنوانُ

فالدارُ "شارقةٌ" والشمسُ قد غَرَبت والعِلمُ شَعَّ بها، والشيخُ سُلطانُ[٥]

يَلقى الأهاليَ مَسرورًا ومُبتسِمًا يُسقيهمُ الماءَ عَذبًا وهو ضَمآنُ

قد حُزتَ عِلمًا وآدابًا ومَكرُمَةً وحُسنَ خُلْقٍ، وللإنسانِ إنسانُ

لم أقصدِ المدحَ، بل حَقًّا نَطقتُ بهِ وما أعان على ذا القولِ شَيطانُ

أحسنتَ للناسِ فيما كنتَ تفعَلُهُ قد بانَ منكَ لأهلِ الدارِ إحسانُ

أخلصتَ للهِ في قَولٍ وفي عَملٍ فزانَ حُكمَكَ إخلاصٌ وإيمانُ

قد طابَ ذِكرُكَ حتى غَصَّ ذو حَسدٍ وكادَ يُبصِرُ ما أنجزتَ عُميانُ

فاسلمْ لنا صاحِبًا تَسمو مكارِمُهُ أثنت على حِلمِهِ شِيبٌ وشبَّانُ

٧-٢-٢٠٢٤

الشرح:

١. كان ذلك سنة ١٩٥٩

٢. كانت الإمارات تسمى آنذاك ساحل عمان، أخدان: جمع خدن وهو الصديق المحب.

٣. أحمد: الشيخ أحمد بن حميد القاسمي، الذي كتبت له (القصيدة القاسمية).

٤. كان والدي الشيخ أحمد بن حجر قاضي رأس الخيمة.

٥. شارقة: أي إمارة الشارقة.